والصدق والتسليم على التصوف مطلب بناء الطريق

اى يدركه علما من كلامهم نحو عزته سبحانه وتعالى وهذه جملة دعائية دعا بها الشيخ قدس الله سره لنفسه ولاخوانه السالكين على هذا الطريق ثم شرع فى ذكر المقدمة بقوله فاعلم اى تنبه وتحقق لما سأورده عليك يا ايها السالك اشرح الله تعالى صدرك اى ظهره من ادناس الشرك والشك ووسعه من ضيق الغفلات بالحلم والعلم وجعله محلا للاسلام اى التسليم لامره تعالى ان جواب علم مبنى اى بناء واقامة امر هذا الطريق الذى هو طريق التصوف على اساس التسليم لامر الله والصدق مع الله تعالى فى معاملته فان المريد اذا اخذ فى السلوك يحتاج الى صدق مع شيخه اولا وتسليم له فى جميع الامور فيجب عليه الاستماع من شيخه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فى كل ما يقول له والصدق فى خدمته والا لم يتهيأ فى صحبة الشيخ الى الله تعالى بالاخلاص والاقتداء فى جميع اقواله وافعاله وان لا يسبق شيخه فى امر من الامور قبل ان يرشده اليه لانه الامام والمريد ماموم به فى صلاة الاهتداء الى قبلة المعارف الالهية والاداب الباطنية المحمدية وعلى المريد ايضا ان يحذر الجلوس مع الشيخ بالانكار والاعتراض عليه او عدم قبول كلامه اذا لم يوافق طبعه لانه لا يعرف مشارب المشايخ ولا خصوصياتهم فانه ذلك سيهلك المريد وسد باب المفتوح عليه والعياذ بالله ومن ثم قال شيخنا ابو اسمعيل ابن النابلسى رضى الله عنه فى شرحه فصوص الحكم للشيخ الاكبر قدس الله سره فانه من آمن بما عليه اهل الطريق وانقاد اليهم والى علومهم وسلم اليهم الامر فهو معهم على مشرب من مشاربهم لان المرء مع من احب انتهى فاذا صح من المريد ذلك انتفع بشيخه وحسن حاله وقوى عزمه واشتدت همته وطابت نفسه وبداسعده وحفته عناية التوفيق وان كان بعكس ذلك فالامر بعكسه كذلك فالمريد الصادق فى سيره وآيما مطمح نظره الى احاطة الوجود فى كل موجود فاذا ادخل نفسه تحت تربية شيخ لا يلزمه التفتيش على حال الشيخ ليرى صدقه او كذبه اذ الشيخ قلبه بيد الله يقلبه كيف شاء فقد يقلبه فى امور لا يدركها المريد معناها فيعترض بذلك على شيخه فيكون افتراء على الشيخ بما لا يعلم من حاله فيكون عادا اعتراضه عليه بسبب جاهل وانما اللازم على المريد ان ينقاد لحكم شيخه فى اى حالة يكونه فيها الشيخ ويأخذ العلوم عنه ويتوكل الله تعالى كما قال تعالى بعض العارفين فى هذا المعنى خذ من علوى ولا تنظر الى عملى كل الثمار وقت العود للنار فالمريد اذا راى عيبا فى شيخه انما هو عيب نفسه ظهر له فى مراة صورة الشيخ فلو عرف نفسه وكملها لرأى الشيخ كاملا والحاصل ان اداب المريد كثيرة والمشايخ لهم خصوصيات مع ربهم تعالى لا يطلع عليها المريد وفى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام مقنع لمن اعتبر فى اعتراض التابع

على المتبوع فكان ذلك سبب الفراق مع ان موسى عليه السلام افضل من الخضر عليه السلام ومع ذلك لم يعلم مقصد الخضر فى تلك الوقايع الثلاث حتى قال له انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فالواجب على المريد انه لا ينظر فى حال شيخه ولا يتجسس عليه ولا يترك له قولا ولا فعلا فيحرم فضله وينقطع سلوكه اذ هو الواسطة بينه وبين الله تعالى فاحترامه واجب على كل حال فانك يا ايها المريد انى كنت على الوصف الذى ذكرناه والمعنى الذى اليه اشرنا اقبل حينئذ قلبك على قلب شيخك وكنت معه وفيقة وربما سقاك من لذيذ خمره فصرت مثله مسلوب الدعوى ليس لك من الامر شئ

وكتبت فى ديوان سعادته ومما احسن ما قال الشيخ محى الدين صاحب هذا الكتاب قدس الله سره فى الادب مع المشايخ ماحرمة شيخ الا حرمة الله فقم بها ادبا بالله هم الادلاء والقربا بتوديهم على الدلالة تأييدا من الله الوارثون هم للرسل اجمعهم فما حدثتهم الا عن الله كالانبياء تراهم فى محاريهم لا يسئلون من الله سوى الله فان بدا منهم حال توهمه عن الشريعة فاتركهم مع الله يقول اذا ظهر لك من حالهم شئ يخالف الشريعة فى نظرك فاترك امرهم الى الله تعالى ولا تعترض منهم ولا تنكر عليهم ذلك واحفظ قلبك ان تتنقصهم فى شئ من ذلك فان انوار الغيوبة ظهرت على صفحات وجوههم وعلوم الرسالة رسخت فى سويدا قلوبهم فهم اعرف منك بحال الشريعة واكثر منك التزاما لحدودها لكنك قاصر النظر عن رؤية كمال الرجال وناقص المعرفة عن الاطلاع على مشاريب الشريعة وطرقها وسلوك الرجال فيها فارجع على نفسك بالتوبيخ وانسب النقص الى نفسك والكمال الى غيرك يظهر لك ان الخلاف والنقص الذى رأيته فيهم انما هو من عدم فهمك ومعرفتك بكمال الشريعة وانك انت المخالف للشريعة بظنك السوء بالمؤمنين المسلمين لا انهم هم المخالفون للشريعة وحاشاهم من المخالفة اوقلة الادب فى حضرة الله تعالى انهم المحدثون الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله كالانبياء فى محاريهم اخذا من قوله عليه السلام الشيخ فى جماعته كالنبى فى امته فاذا عرفت هذا يا ايها المريد فاعلم ايضا ان الشيخ المربى ان كان كاذبا فعليه كذبه ولا يصيبك من كذبه شئ اذا كنت معتقدا وان كان صادقا يصبك بعض الذى يعدك اذا كنت منتقدا فاذا استكمل المريد صدقه مع شيخه فى جميع سلوكه وحفظ قلبه من الاعتراض عليه بوجه ما انتهى له ذلك الصدق مع الله تعالى بأن يوقع تعالى فى قلبه نورا الهاميا من حضرة الحق تعالى يجلى ظلمات قلبه المملوء من الزيغ والاوهام وتشتعل فى قلبه نار ربانية تحرق جميع وساوس شياطينه وتسويلاته